المنبر و تطوره في الاسلام

أ.خذير ابراهيم
جامعة الجزائر 2

مقدمة:

تفنن المسلمون في صنع المنابر وأبدعوا، حتى كانت المنابر إحدى المجالات التي أظهرت تذوقهم الجمالي وقدرتهم على الإبداع بكل قوة.

إن تاريخ المنابر يشهد أنها بدأت بداية بسيطة جداً ومتواضعة جدا... إلا أنها لم تلبث أن انطلقت سريعاً . مع عصر المساجد الكبرى في المدن الرئيسية . حتى غدت معلماً بارزاً من معالم المسجد أينما كان، بل ومحط إعجاب الدارسين لعناصره، المتتبعين لفن العمارة الإسلامية.

إن المنابر لم تعد أماكن للحديث والخطابة فقط... بل تعددت وظيفتها الأولية إلى مدى أبعد... إنها مظهر من مظاهر السيادة والقيادة وعلامة من علامات الغنى والذوق ومقام رفيع سام لا يتعلق به إلا أهل العلم والدعوة والأهداف الواضحة في الفكر والحياة.

2)ما هو المنبر:

المنبر بوضعه النهائي التقليدي: منصة مرتفعة من حجر أو خشب تتسع لوقوف وجلوس الخطيب، ويقع في المسجد قرب المحراب عن يمين المتوجه إليه، تعلوه قبة صغيرة أو جوسق، يصعد إليه بدرج له درابزين عن جانبيه وباب بمصراعين في الأسفل. ويقطع رواق القبلة.

وهذا التعريف يشمل معظم المنابر الدارجة في المساجد القديمة أو المساجد التي لجأت إلى المنبر التقليدي المعروف...

ويلاحظ أن المؤرخين اختلفوا في كلمة (منبر) هل هي دخيلة على اللغة العربية من جهة الحبشة ثم عربت واستعملها العرب؟ أم إنها عربية أصيلة مشتقة من " نبر"؟.

وعلى القول الأول فإنها في الحبشة كانت أصلاً (ونبر) بمعنى كرسي أو سدة كبيرة لكرسي الملك أو رئيس الديوان. ثم حولت الواو إلى ميم فأصبحت (منبر) وهي لا تزال مستعملة في لغة الأحباش إلى يومنا هذا.

أما على القول الآخر فإن (نَبَر) معناها رفع، ومن نبر شيئاً فقد رفعه، وهكذا فالمنبر مرقاة الخاطب، سمي منبراً لارتفاعه وعلوه، وانتبر الأمير: ارتفع فوق المنبر.[1]

3)أول المنابر في الإسلام:

لم يكن لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة حين بنائه منبر، على الرغم من إقامة صلاة الجمعة وخطبتها فيه، وعلى الرغم من وقوع خطب أخرى غير الجمعة فيه.

وكان عليه الصلاة والسلام إذا قام يوم الجمعة خطيباً وقف مستنداً إلى جذع من جذوع النخل التي تحمل السقف، وهو مما يلي قبلة المسجد، ويتوجه بالكلام مقبلا على المصلين معتمداً على عصا يمسكها بيده.

واستمر إلى هكذا إلى السنة السابعة بعد الهجرة، عندما اقترح عليه بعض الصحابة الكرام أن يصنعوا له المنبر، ليقف عليه حين الخطبة، ويجلس فوقه مستريحاً بين الخطبتين، فذلك أبرز له للناس الذين كثروا، وأرفق به من حيث تقدمه عليه السلام في السن.[2]

وقد اتفقت كلمة المؤرخين ورجال السيرة على أن المنبر الأول المصنوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان من خشب وأن ذلك الخشب قطع من الأثل من طرفاء الغابة في جانب من جوانب المدينة المنورة، وأنه كان مؤلفاً من درجتين فوقهما ثالثة للقعود، وأنه كان من صنعة غلام حبشي مولى لأحد الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

جاء في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال :كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل : يا رسول الله ألا تجعل لك منبرا؟ قال : إن شئتم، فاجعلوا له منبرا.[3]

ولا تعارض بين هذا الحديث وأحاديث أخرى أشارت إلى آخرين عملوا المنبر، فلعل المنبر الأول لم يستقم طويلاً فقد أشير في بعض الروايات إلى أن المنبر صنع سنة ثمان للهجرة على يد غلام آخر، وباقتراح العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بإشارة

تميم الداري بعد أن رأى منابر الكنائس في الشام.

وكان ارتفاع منبر النبي صلى الله عليه وسلم ذراعين وثلاثة أصابع (قرابة المتر) وعرضه ذراع راجح (قرابة نصف متر) وعلى جانبيه ومن خلفه خمسة أعواد، وفي طرفية مما يلي مكان القعود في أعلاه (رمانتان) من نفس خشبه سميتا (الصلعاء) أي البسيطة الخالية من الزخرفة.

ذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا إذا خلا المسجد أخذوا برمانة المنبر الصلعاء التي تلي القبر بميامينهم، ثم استقبلوا القبلة يدعون.

ولعل بعض المنافقين غمز في حينه من شأن المنبر الذي لم يكن معروفاً من قبل العرب. فرد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: "إن اتخذ منبراً فقد أتخذه أبي إبراهيم عليه السلام، وإن اتخذ عصا فقد اتخذها أبي إبراهيم عليه السلام".[4]

ولا يغيب عن بالنا أن نذكر ما أثر عن أن موقفاً مرتفعاً من الطين إلى جوار جذع النخل في المسجد كان محل قيام النبي صلى الله عليه وسلم للخطابة قبل صنع المنبر له. كما أنه صلى الله عليه وسلم خطب في الحج خطبة الوداع الشهيرة في منى راكباً على بغلة شهباء.

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ المنبر . بعد صنعه . أحياناً لتعليم الناس هيئة الصلاة... فقد ذكرت الأحاديث أنه لما وضع المنبر جلس عليه أول مرة وكبر، فكبر الناس خلفه، ثم ركع وهو على المنبر، ثم رفع فنزل القهقرى فسجد في أصل المنبر، ثم عاد حتى فرغ من صلاته... ثم قال: (أيها الناس إني صنعت هذا لتأتموا بي، ولتتعلموا صلاتي...).

وقد ثبت في بعض الأحاديث حنين جذع النخل بعد مفارقة رسول الله صلى الله عليه وسلم له إلى المنبر، وسماع الصحابة لذلك الحنين، إلى أن نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمه إليه حتى سكت.

4)فضل منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وردت في فضل منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث عدة يستفاد منها شرفه ومكانته العظيمة وحرمته العالية... ولم لا فهو أول منبر صنع في الإسلام وهو مقام الدعوة إلى الحق وهداية الخلق إلى الله...

روي ابن سعد أنه بعد أن انتهى النجار من صنعته جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقام عليه، وقال: (منبري هذا على ترعة من ترع الجنة، وقوائم منبري رواتب في الجنة). وقال في حديث آخر(منبري على حوضي) وقال: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة). وحذر من

الحلف تحته كاذباً فقال: (لا يحلف أحد عند هذا المنبر . أو عند منبري . على يمين آثمة ولو على سواك رطب إلا وجبت له النار).

وإذا كانت هذه الأحاديث واردة في فضل منبره صلى الله عليه وسلم فإنها تشير من باب التبعية والإلحاق "ولو على وجه أخف وأقل" إلى فضل المنابر عموماً في المساجد ومنزلتها، لاشتراكها مع المنبر الأول المعظم في الهدف والغاية والاستخدام.

تاريخ المنبر الشريف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

كان الخلفاء الراشدون إذا خطبوا بالمسلمين الجمعة قاموا على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. إلا أنهم تأدباً معه كانوا ينزلون عن مقامه عليه درجة... بينما لم تكن ثمة منابر للخطب في المساجد الأخرى التي بنيت في صدر الإسلام في مختلف المدن.

وقد زاد أمير المدينة مروان بن الحكم على درجات المنبر الشريف الثلاث ستَّ درجات أخرى فوقها في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فصارت درجاته تسعا، وأصبح طوله أربعة أذرع وشبرا.

ثم لما حج المهدي ابن المنصور العباسي سنة 161هـ أراد أن يعيد المنبر الشريف إلى ما كان عليه في أيام النبي صلى الله عليه وسلم، ويزيل منه الزيادة المضافة إليه. إلا أن الإمام مالكاً رحمه الله أشار عليه بتركه كما هو، خشية أن يصبح ملعبة للملوك، فتركه.

وتؤكد روايات التاريخ أن المنبر الشريف بقي موجوداً في المسجد النبوي إلى عام 654هـ. ففي أول ليلة من رمضان في تلك السنة احترق المسجد النبوي في حادثة مروعة مفاجئة ذهب نتيجتها "قبل التمكن من إطفاء النار فيما ذهب" المنبر الشريف وغدا رمادا.

5)المنابر الأولى في المساجد:

ربما كان أول منبر نقل لنا خبره "فيما بعد المنبر الأول" منبر عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي بناه في مدينة الفسطاط بعد فتح مصر، وكان عمرو والياً عليها من طرف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وكان عمل عمرو هذا دون استشارة الخليفة مما حمله على الأمر بإزالته.

يذكر المقريزي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه أن عمرو بن العاص اتخذ في مسجده بفسطاط مصر، وهو المسمى (بتاج الجوامع)، منبراً من خشب، فكتب إليه عمر رقعة قال فيها: أما بِحَسْبِك أن تقوم قائماً والمسلمون جلوس تحت عقبيك، فعزمت عليك إلا كسرته، فامتثل عمرو لأمر عمر فكسره.[5]

ولا يبعد أن يكون عمرو قد استأذن الخليفة عثمان رضي الله عنه فيما بعد، شارحاً له حاجة المسجد إلى المنبر، مما اتاح له فرصة إعادة المنبر إلى الجامع بعد وفاة عمر رضي الله عنه.
وقيل: إن قرة بن شريك جدد المنبر في جامع عمرو بن العاص بعد ذلك عام 92هـ بأمر الوليد بن عبد الملك.
ثم لما كانت ولاية مروان بن محمد سنة 132هـ، أمر واليه على مصر موسى بن نصير اللخمي أن تتخذ المنابر في القرى(أي المدن الكبرى).
وكما كان الحال في مصر، فقد بدأت المنابر تدخل المساجد وتتخذ فيها في العهود المبكرة الأولى للأمويين في الشام والعراق والحجاز، فقد كان الحجاج بن يوسف الثقفي يخطب على منبر الكوفة، وكان لمعاوية بن أبي سفيان منبر في الشام حمله معه إلى مكة فكان أول من خطب على المنبر بجواز الكعبة المشرفة، كذلك ذكر أن يزيد بن معاوية الذي تولى الخلافة بعد أبيه أنشأ في جند قنسرين مسجداً له منبر.[6]
ولا يفوتنا هنا ننوه إلى أن حسان بن ثابت رضي الله عنه الصحابي الجليل شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينصب له منبر في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم إبّان حياته عند إنشاده قصائد مديح النبي صلى الله عليه وسلم وهجاء قريش، قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب لحسان منبرا في المسجد فيقوم عليه يهجو الكفار.

6)أنواع المنابر:

- تنقسم المنابر من حيث مادة صناعتها إلى: منابر خشبية، ومنابر حجرية.
- كما تنقسم من حيث ثباتها وحركتها إلى: منابر ثابتة، ومنابر متنقلة.
- كما تنقسم من حيث أشكالها إلى: منابر قديمة تقليدية، ومنابر حديثة.

أ ـ المنابر الخشبية:

الخشب هو المادة الأولى التي صنع منها المنبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم درج الناس على ذلك، إلا أنهم مع تطور الحياة وتعقدها واهتمام الناس بالمظاهر والزخرفة، وبناءهم المساجد الفخمة المكلفة للأموال الكثيرة، وتفننهم في كل شيء فيها، فقد برز اهتمام الصناع بمنابر الخشب، مما حدا بهم إلى اختيار أنواع خاصة من الخشب المعمر أوالنفيس، كالأبنوس والجندل والجوز والزان وغير ذلك من أنوع الخشب القوي الفاخر، كما درجوا على تطعيم بعض

المنابر بقطع من الفسيفساء والعود، أو القيام بحفر بعض الآيات أو الأحاديث وأسماء الولاة والسلاطين وأسماء صناع المنابر وتاريخها عليها، وتزيينها وزخرفتها بالزخارف الإسلامية المعروفة، كالنجوم المتعددة الأضلاع، أو الخطوط العربية الشهيرة، أو نحو ذلك من فنون الأرابيسك، فغدت المنابر في كثير من الأحيان قطعاً فنية نفيسة رائعة تدل على الملك الواسع الاهتمام الشديد والصنعة الفائقة، إن المنبر الخشبي بحق سيد المنابر.[7]

ب ـ المنابرالحجرية:

وهي منابر بدأت بالظهور بشكل عام في عهد المماليك ثم في أيام العثمانيين، ولئن كان الحجر أقسى من الخشب إلا أن يد المعمار المسلم لم تعجز عن تطويعه لمبدأ الاهتمام بالمنابر وزخرفتها وتزيينها والكتابة عليها، بل أبدعت في ذلك إبداعات فائقة لم تسبق إليها، حتى غدا الحجر ناطقاً بقدرة بانيه على التعبير عن أعلى درجات المشاعر والتعظيم لمقام منابر الجمعة..

على أننا لا نفعل إشارة متقدمة إلى المنابر الحجرية، فقد ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء أن عمر بن عبد العزيز خطب بالشام على منبر من طين، ومنابر الطين ولاشك بدايات المنابر الحجرية.[8]

ج ـ المنابر النقالة:

الغالب في المنابر أن تكون ثابتة، سواء كانت خشبية أم حجرية، وأنها توضع غالباً بجوار المنبر على يمين المتجه إليه... إلا أننا رأينا بعض المنابر ـ على قلة ـ لم تكن ثابتة، بل لكي لا تشغل حيزاً من المسجد يقطع الصف الأول أو الثاني، فقد صممت لتلك المنابر عجلات تدفع فوقها لتوضع بعد الخطبة في غرف خاصة بها في جوار القبلة، إلى أن تخرج ثانية لخطبة الجمعة التالية، وهكذا...

وعلى هذا درجت بعض المساجد في الأندلس وشمال افريقية.. ثم انتقلت تلك العادة إلى بعض مساجد مصر. نرى هذا في مرحلة ما في جامع الزيتونة وصفاقس والمنستير ومنبر الجامع الأزهر وغيرها.

كما أنه كان في الحرم المكي ولا يزال منبر نقال يوضع مقابل باب الكعبة عند الخطبة، ثم يحرك إلى مكان بعيد، كي لايعيق الطواف حول الكعبة...

والمنبر النقال في مكة حرسها الله قديم جداً، ذكر عن معاوية أنه اصطحب معه منبره من الشام

إلى مكة ليخطب عليه، كما ذكر ابن بطوطة أنه رأى المنبر النقال في مكة.

على أننا نؤكد أن المنابرالنقالة لم تكن قاعدة مضطردة، بل أمراً قليل الحدوث.

د ـ المنبر التقليدي:

وهو المنبر ذو المسقط المتعامد على جدار القبلة والصف الأول، الممتد قاطعاً الصفوف بحسب طوله، المرتفع فوق رؤوس المصلين، المزود بباب وراءه ستارة، وبدرج ودرابزين على جانبيه ومجلس للخطيب في آخره العلوي، والذي يعلوه جوسق فوقه قبة صغيرة.

وهذه الصورة للمنبر هي الصورة التقليدية للمنابر عموماً... سواء كانت خشبية أم حجرية، وهي الغالبة على المساجد القديمة المبنية في العهود الإسلامية... ابتداء من أيام الأمويين إلى مابعد سقوط الدولة العثمانية.

هـ ـ المنابر الحديثة:

وهي صور متعددة مبتكرة في الكيفية التي يمكن أن تؤدي غرض المنبر الأساسي من حيث رفعه للخطيب، ليظهر للملأ ويبصر البعيد والقريب، مع استحداث هيآت لم تكن معروفه من قبل.

فبعض المنابر . وهو كثير غالب . غدا جزءاً من المحراب، يدخل إليه من داخل تجويف المحراب، ثم يرتفع مقدار درجتين أو ثلاثاً لا أكثر، ليصل إلى شرفة داخل جدار القبلة لها درابزين من خشب محفور، ومثل هذه المنابر تكون غالباً ذات شرفتين على جانبي المحراب.

وبعض المنابر يكون ذا باب في جدار القبلة، يدخل منه إلى درج خفي خلف ذلك الجدار، يرتفع عدة درجات يصل بعضها إلى عشر أو أكثر، ثم يطل الخطيب على المصلين من شرفة علوية قد تكون إلى جانب المحراب أو ربما فوقه مباشرة، ومثل هذه الشرفات تمتاز بالارتفاع فوق رؤوس المصلين ارتفاعاً بينا.

وبعض المنابر ابتكر على هيئة درج مجاور لجدار القبلة يرتفع مائلاً صوب المحراب لينتهي إلى مايشبه المنصة المجاورة للمحراب.

وبعض تلك المنابر الحديثة بني على شكل هلال مقلوب أحد رأسيه في الأرض والرأس الآخر تحت أقدام الخطيب.

وفي كل يوم تتفق أذهان المهندسين المعماريين المسلمين عن أفكار جديدة، بعضها مستوحى من القديم وامتداد له، وبعضها مبتكر جديد، لكنها جميعاً تتفق في الهدف والمضمون، وإن

اختلفت في الشكل والمظهر.

•المنابر الثانوية (تعدد المنابر):

ليس من المعهود أن يكون في المسجد الواحد إلا منبر واحد، ولكن لكل قاعدة من استثناء، فقد نقل أبو الفرج ابن الجوزي أنه كان في جامع دار السلطان ببغداد منبران.

ولئن كان وجود منبرين في مسجد واحد شاذاً، لأنه لايعقل أن يقوم عليهما في وقت واحد خطيبان معاً، فإن ذلك لم يمنع من وجود مايمكن أن نسميه منابر ثانوية، كمنبر للواعظ أقل ارتفاعاً وأناقة من منبر الخطيب، ويستخدم عادة لالقاء درس في أيام الأسبوع أو قبيل خطبة الجمعة، وربما كان منبر الواعظ متحركاً يمكن حمله وتحويله، وربما كان أشبه مايكون بكرسي خاص فيه عناية واضحة، ووجود مثل هذه المنابر (الصغيرة) معهود في كثير من المساجد بحسب أهمية الدرس أو المدرس أو الواعظ أو فخامة المسجد... الخ.

وقد جاء في الحديث أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب عن بعض مسائل دينية، فنزل عن منبره، وترك خطبته حتى انتهى إليه، فأتي بكرسي قوائمه من حديد، فقعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلمه، ثم عاد إلى منبره ليكمل خطبته.

وقد شاع في المساجد الحديثة ذات المنابر المشبهة للشرفات المفتوحة في جدار القبلة، أن يتخذ المهندس شرفتين متناظرتين، كأنهما لتشابههما منبران متساويان حجماً وارتفاعا وشكلا، وربما استخدم البعض أحدهما للمؤذن إضافة إلى استمال الآخر للخطيب.

7)دور المنبر:

لم ينحصر دور المنبر في يوم الجمعة لإلقاء خطبة الجمعة من فوقه، بل كان له دور أوسع وأشمل منذ أيام النبي صلى الله عليه وسلم فقد كانت الخطب الأخرى في المناسبات عموماً تلقى من فوقه... وتلك المناسبات بعضها ديني أو سياسي أو اجتماعي أو حربي، أو غير ذلك.

وقد كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطب عديدة غير خطبة الجمعة في أوقات مختلفة .

وأهم دور للمنبر . عدا خطبة الجمعة . أنه كان في الصدر الأول مكاناً لمبايعة الخلفاء عند توليهم أمور المسلمين، إذ بويع من فوقه الخلفاء الراشدون والأمويون والعباسيون وغيرهم.

8)تقاليد المنبر:

تختلف عادات الناس في حياتهم باختلاف أجيالهم وشعوبهم، وبالنسبة للمنبر فقد رافقته بعض التقاليد منذ القديم بعضها انقرض وبعضها لايزال باقياً.

1 ـ عدد درجات المنبر بقيت ردحاً طويلاً من الزمن لاتزيد على تسع درجات، ابتداء من أيام مروان بن الحكم حين زاد درجات منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تسع، إلا أننا في زمن المنابر الحديثة شهدنا ظهور المنابر التي لاتتقيد بعدد معين في درجات المنبر، بل ربما زادت أو نقصت على العرف القديم.

2 ـ درج خطباء المنابر على حمل سيف أثناء خطبة الجمعة في البلاد التي فتحت عنوة وقسرا، بينما يتوكؤون على عصا في البلاد التي فتحت سلماً وعهدا، وكان من عادة العرب إذا خطب أحدهم اتكأ على عصا يستعين بها مادام واقفا، وقد أثر مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم.

3 ـ لم يزل خطباء الجمعة مواظبين على الدعاء بعد خطبة الجمعة لخلفاء المسلمين وسلاطينهم بأسمائهم وأشخاصهم، حتى أصبح ذلك عرفاً شائعاً دارجاً، بلا علامة من علامات الطاعة والبيعة، فإذا ماقطع خطيب الدعاء لسلطان ما دل ذلك على النقمة عليه والاستياء منه، أو حتى الخروج عليه.

4 ـ لمدة طويلة كان يتم رفع الأعلام على جوانب المنبر، ويبدو أن هذه العادة بدأت عندما كان الخلفاء يتولون بأنفسهم الخطابة على المنابر، وقد اشتد بها اهتمام الفاطميين من حكام مصر، وربما كانوا يرفعون أمام الخطيب في المنبر ستارة أثناء الخطبة، كأنه يحتجب عن الجمهور فلا يسمعون إلا صوته.

5 ـ لبعض المنابر أبوب خاصة تفتح للخطيب فقط دون سواه وتكون تلك الأبواب عادة خلف المنبر في جدار القبلة، وتستعمل وقت الخطبة لئلا يحتاج الخطيب إلى تخطي المصلين من الأبواب العادية إلى المحراب.

9)أشهر المنابر:

بعض المنابر قطع فنية نادرة لدقة زخرفتها، أو قدم صنعها، أو جمال شكلها، أو نفاسة أخشابها ومعدنها،

ومن تلك المنابر الشهيرة التي طار صيتها: منبر جامع قرطبة الذي بناه الحكم المستنصر، واستغرق بناؤه سبع سنين، ووصف بأنه ليس فوق الأرض مثيل له، ومنها منبر المسجد الأقصى الذي أمر بصنعه قبل طرد الصليبيين نور الدين زنكي، وبقي في حلب حيث صنع عشرين سنة، حتى حرر صلاح الدين الأيوبي القدس، فحمله إلى المسجد الأقصى ووضعه فيه تحقيقاً لحلم نور الدين المجاهد الكبير وكان آية في الجمال والإتقان، ومنها منبر مسجد

السلطان أحمد في تركيا المصنوع من المرمر النفيس.

ومن المنابر الحديثة الشهيرة: منبر جامع الملك الحسن الثاني في الرباط، ومنبر جامع الروضة في حلب الشهباء.

10) المنابر في العهد العثماني:

تفنن المسلمون في صناعة المنابر وزخرفتها وتشكيلها، وكانت تصنع هذه المنابر عادة من أنواع الخشب الجيد، أو من الرخام,[9] لكن هذا الأخير يعتبراستخدامه قليل في الفترة العثمانية إذا ما قورنت بالمنابر المتخذة من مادة الخشب، إذ أنها تعتبر أكثر شيوعا في معظم الفترات، كما أن هذا الاستخدام لا يعتبر وليد هذا العهد إذ أنه عرف من قبل في العصر المملوكي [10].

وكان المنبر بعد تطوره و اكتماله في العصر المملوكي بالصورة التي نراها عليها اليوم عبارة عن تحفة خشبية رائعة تتكون من قاعدة مستطيلة تعلوها مجموعة من الأجزاء المختلفة أولها باب مقدم ذو مصراع أو مصراعين منالحشوات الخشبية المجمعة تزينها زخارف نباتية و هندسية مطعمة في أغلب الأحيان بالعظم و العاج و كثيرا ما كان يعلو هذا الباب حشوة كتابية قرآنية أو تأسيسية يتوجها صف من الشرفات المورقة أو المسننة و ثانيها ريشتان أو مجنبتان مثلثتان ذواتى حشوات مجمعة في أطباق نجمية و أجزاء منها تزينها زخارف نباتية وهندسية مطعمة أحيانا و غير مطعمة أحيانا أخرى, [11] و ثالثها بابا روضة في المؤخرة تزينها نفس الحشوات المطعمة أو غير المطعمة، كثيرا ما كانت تعلوها

كتابات إنشائية أو قرآنية، و رابعها جلسة خطيب فوق بابي الروضة يصعد إليها بواسطة سلم داخلي عبارة عن مربع له ثلاث واجهات مفتوحة يعلوها جوسق أو قبة صغيرة يتوجها هلال. [12]

فالمنبر من هذا النوع مظهر من مظاهر التأثير السياسي والفني العثماني والواقع أن السلاجقة قبل العثمانيين، عرفوا المنابر المصنوعة من الخشب والحجرفي قونيا وديفرين وماردين منذ القرن 6هـ/12م. [13]

أما المنابر الرخامية فكان أقدم نماذجها هو ما وجد خلال العصر المملوكي البحري في مسجد الحظيري(737 هـ 1337م)[14], و تم نقله إلى متحف الفن الإسلامي، ومسجد آق سنقر(747-748هـ/1346-1347م)ومدرسة السلطان حسن(757-764هـ/1356-1362م)، و إن كان الغالب أن هذين المنبرين الرخاميين كانا قد عملا في العصر العثماني، أولهما أثناء عمارة إبراهيم أغا مستحفظان في مسجد آق سنقر و ثانيهما أثناء عمارة حسن أغا في مدرسة السلطان حسن (1082هـ/1671م) كذلك فقد و جدت أمثلة من المنابر الرخامية

المشابهة للمنابر الخشبية في منبرقايتباي الذي أمر بعمله بخانقاه فرج بن برقوق (888هـ/1483م) و منبرمسجد المير شيخوا العمري الذي عمل سنة (961هـ/1553م)، ثم انعدم بعد ذلك وجود المنابر الرخامية في مساجد العصر المملوكي البرجي حتى عادت مرة ثانية في مساجد العصر العثماني. [15] وهذا جامع الملكة صفية بالقاهرة الذي يضم منبر رخاميّا تشابه مع منابرإسطنبول أيضا في المداور والمشبكات، لكنه زاد عليها بباب رخامي وجوسق قلمي مرتكز على شكل سداسي[16] وتأثرت المساجد العثمانية عموما بزخارف عصرالنهضة فهذا جامع السلطان أيوب بإسطنبول وقد ظهرت على المنبر الرخامي تأثيرات زخارف الروكوكو أي الزخارف البارزة وزخارف الباروك أي الألوان الزاهية، وهذا جامع محمد علي بالقاهرة والذي ظهرت على منبره الخشبي تأثيرات زخارف الروكوكو و الباروك أيضا [17].

وهكذا شأن المنبر كان كسائر العناصر المسجدية، تفنن المسلمون في صنعه وأبدعوا منه روائع تعد بحق من الإنجازات الفنية الراقية، إذ أنه تطور كقطعة من أثاث المسجد، لكنه لم يتطور كجزء من عمارته، أي أن المنابر أصبحت مع الزمن مجالا لفن النجارة ونحت الخشب والحفر فيه، ولكنها لم تندمج في عمارة المسجد[18].

ولهذا ما زالت أوضاع المنابر في المساجد غير منسجمة مع العمارة، فهي تبرز في بيت الصلاة بروزا شديدا وتحتل منه مساحة كبيرة دون مبرر، حتى في المنابر الممتازة [19].

الهوامش :

– الشيخ طه الولي، المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1988م، ص191–192.

2 – نفسه، ص193.

3– سعاد ماهر، مساجد في السيرة النبوية، الهيأة العامة للكتاب، القاهرة، 1987م، ص76.

4– الشيخ طه الولي، الرجع السابق، ص193.

5– فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، مجلد1، الهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر،1970م، ص630..

6– الشيخ طه الولي، المرجع السابق،ص198.

7– صالح لمعي مصطفى، التراث المعماري الإسلامي في مصر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة، ص45.

8– عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، 2000م، ص301.

9– محمد حسين جودي العمارة العربية الإسلامية خصوصياتها وابتكاراتها، ط1 عمان1998

، ص78 .

10– ربيع حامد خليفة، الزخرفية الفنون اليمنية في العصر الإسلامي، القاهرة،الدار المصرية اللبنانية، 1992م.

، ص 109

11–عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص303 .

12– نفسه، ص304 .

13–عبد العزيز محمود لعرج، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العهد التركي،ط1 ، لمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.

، ص535 .

14– يحي وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة،1990م.، ص27 .

15– عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص304 .

16– ربيع حامد خليفة– ، فنون القاهرة في العهد العثماني1517_1805مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة،1984م.

، ص111 .

17– نفسه، ص113 .

18– نفسه، ص95.

19– ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص95.